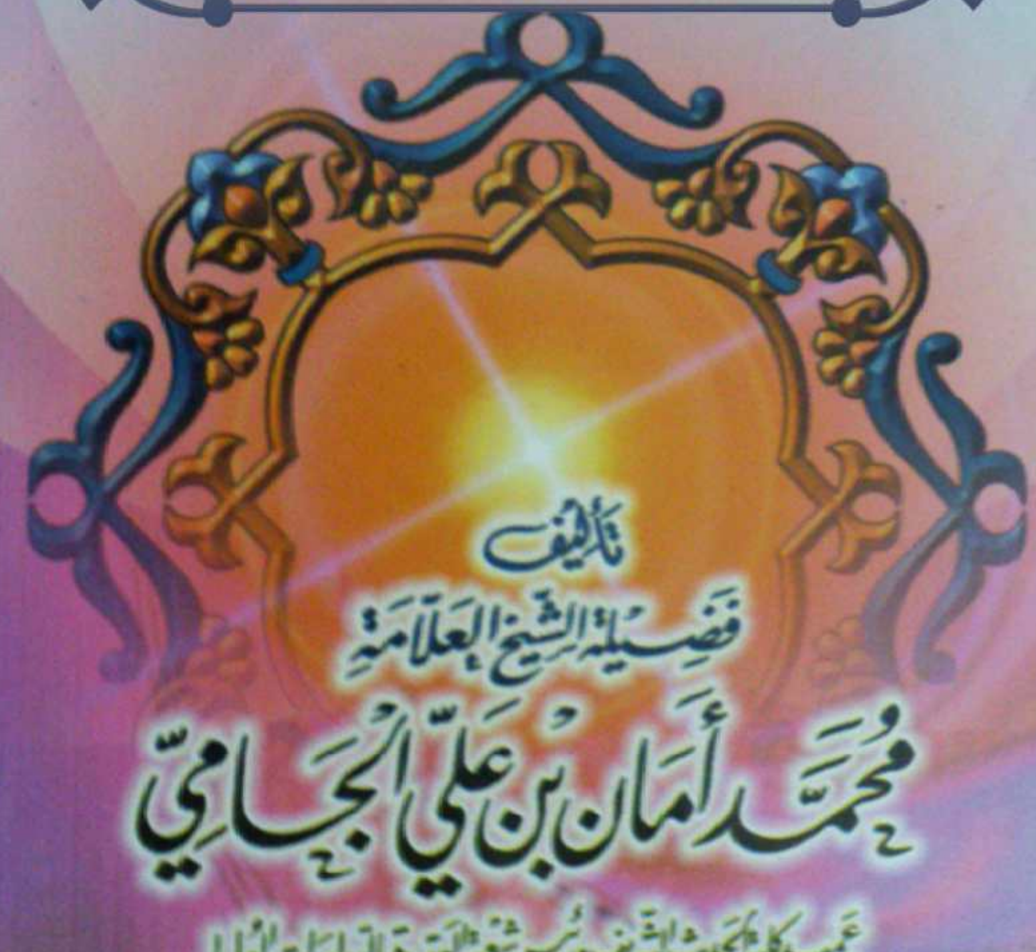
طريقة الإسلام في التربية

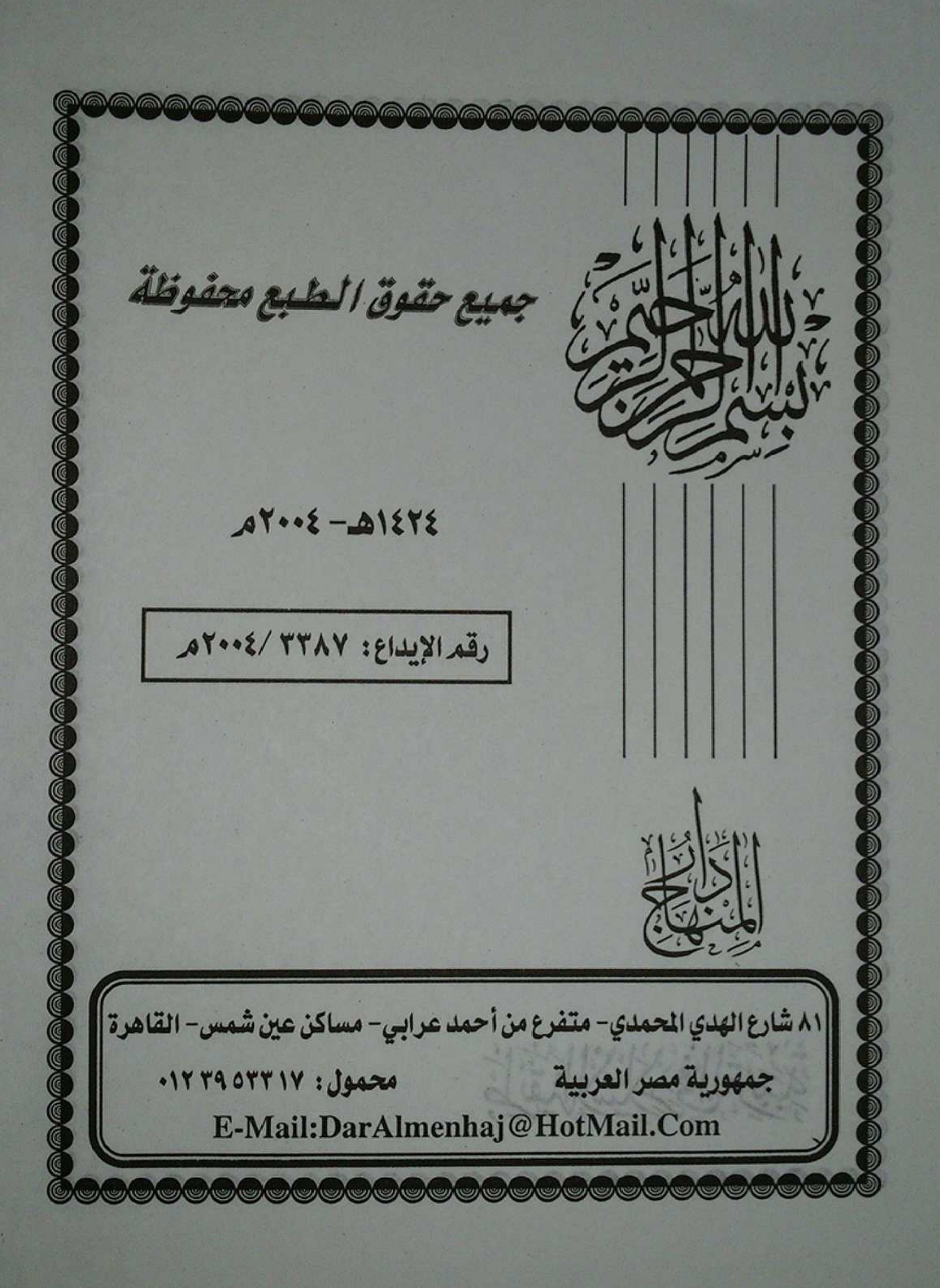








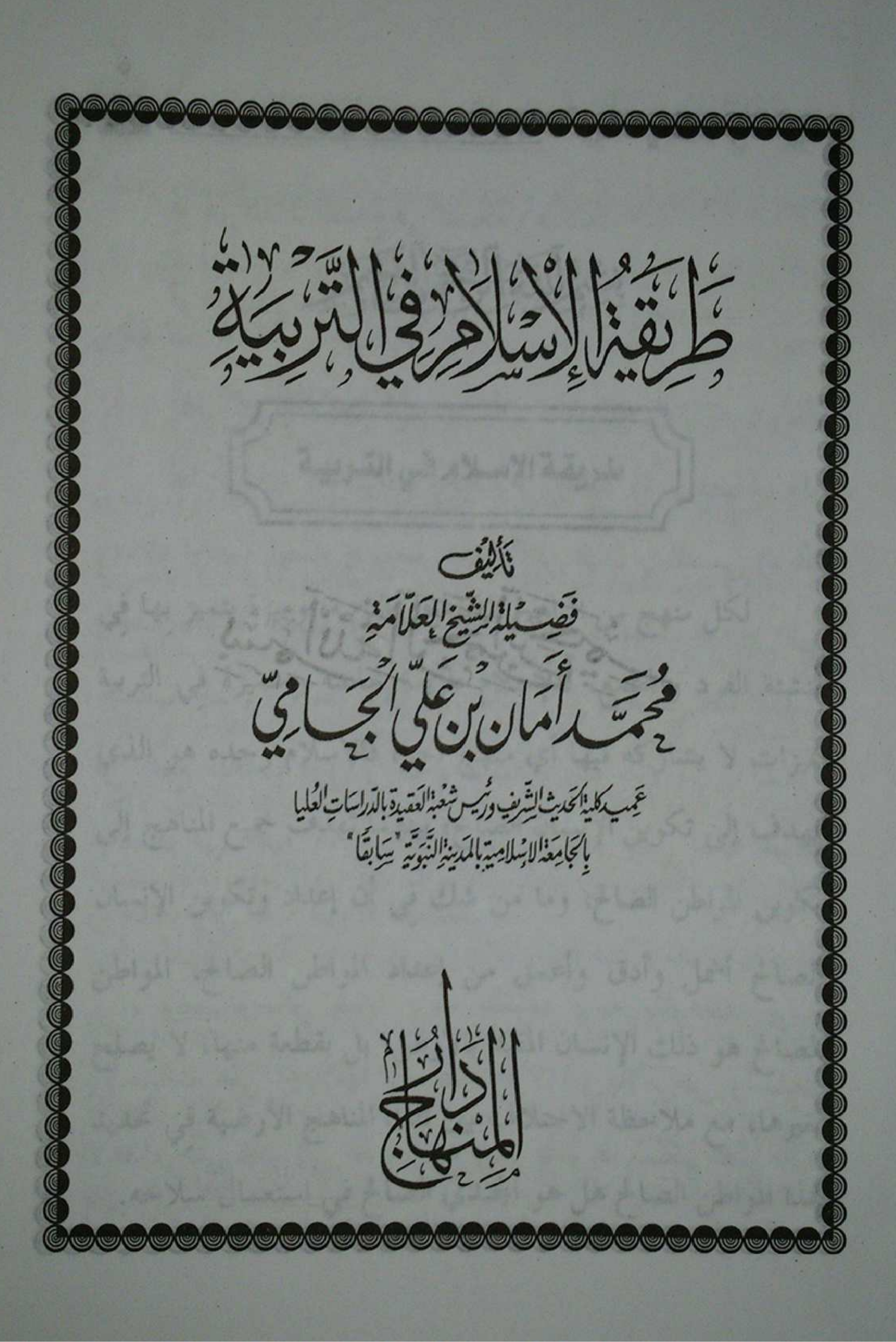
طريقة الإسلام في التربية



١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع: ٣٣٨٧ /٢٠٠٤م

٨١ شارع الهدي المحمدي - متفرع من أحمد عرابي - مساكن عين شمس - القاهرة
جمهورية مصر العربية
محمول: ٠١٢٣٩٥٣٣١٧
E-Mail:DarAlmenhaj@HotMail.Com



طريقة الإسلام في التربية

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

محمد أمان بن علي الجامي

عميد كلية الحديث الشريف ورئيس شعبة العقيدة بالدراسات العليا
بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية "سابقًا"

دار المنهاج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طريقة الإسلام في التربية

لكل منهج من المناهج طريقة فِي التربية، وميزة يتميز بِها فِي تنشئة الفرد والمجتمع، فللإسلام طريقة خاصة ومتميزة فِي التربية بميزات لا يشاركه فيها أي منهج آخر، فالإسلام وحده هو الذي يهدف إِلَى تكوين الإنسان الصالح، بينهما تَهدف جميع المناهج إِلَى تكوين المواطن الصالح، وما من شك فِي أن إعداد وتكوين الإنسان الصالح أشمل وأدق وأعمق من إعداد المواطن الصالح، المواطن الصالح هو ذلك الإنسان المقيد بالأرض، بل بقطعة منها، لا يصلح لغيرها، مع ملاحظة الاختلاف بين تلك المناهج الأرضية فِي تحديد هذا المواطن الصالح هل هو الجندي الصالح فِي استعمال سلاحه.

أو هو العابد الصالح فِي تنسكه وعبادته.

أو ذلك الإنسان الخامل فِي سلامة صدره وهدوئه.

إِلَى غير ذلك من المعانِي.

أما الإسلام فله طريقته الخاصة فِي إعداد الفرد الصالح، وله وسائله الخاصة أيضًا، إذ يأخذ هذا الكائن البشري المسمى إنسانًا يأخذه بكامله بجسمه وروحه وعقله، قبل أن يهمل الروح على حساب الجسم أو العقل وقبل أن يعكس، بل ينفذ إِلَى هذا الكائن من جميع منافذه، فيربي روحه وجسمه وعقله معًا، ثُمَّ إنه يساير الإنسان فِي جميع أحواله، فِي حبه وكرهه، وفِي حالة خوفه ورجائه، وفِي جميع ظروفه المختلفة.

يربيه بوسائل شتى: يربيه بالقوة، يربيه بالموعظة، يربيه بالأحداث على اختلافها بالقحط والزلازل، بالأمراض وتسليط الأعداء حَتَّى يجأر إِلَى الله ويرجع إليه: ﴿**ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**﴾ [النحل:٥٣]. يربيه بمثل هذه الوسائل حَتَّى يتكون الفرد

الصالح القوي فِي إيْمانه وثقته بربه، فمنه يتكون المجتمع الصالح والأمة الصالحة الخيرة، وهي الأمة الإسلامية الواعية الطيبة الَّتِي قال عنها خالقها الحكيم العليم سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولقد رأينا الله يخاطب هذه الأمة المحمدية مباشرة ودون واسطة ودون تقييد لَها بأي صفة من الصفات المقيدة لا بالقومية أو الوطنية أو القبلية، بل يقول لَهم: يا أتباع مُحَمَّد -عليه الصلاة والسلام- كنتم خير أمة أخرجت للناس إخراجًا خاصًّا وممتازًا، لتقوموا بأعباء الخلافة -تعمرون الأرض وتصلحونَها بالعدل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيْمان بالله- والإيْمان بالله يستلزم الإيْمان برسله وكتبه ويوم لقائه وغير ذلك من شعب الإيْمان الَّتِي أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، أخذًا من سنة هادي الأمة ومربِّي البشرية مُحَمَّد -عليه الصلاة والسلام- الذي أرسله الله لهداية الناس جميعًا: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي

رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨]. ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٧٩].

أعود فأقول: إذا رأينا الله يخاطب هذه الأمة فِي الآية السابقة ويوجههم ذلك التوجيه السديد، ثُمَّ استمعنا إِلَى الآيات الَّتِي تخبرنا بعموم رسالة مُحَمَّد نبي هذه الأمة، وأنه بعث لهداية الناس جميعًا؛ ليصلهم بربِّهم فسنرى فِي هذه النصوص الآتية كيف يخاطب الله الإنسان بصفته إنسانًا فقط، ليرده إِلَى خالقه ويصله به مباشرة ودون واسطة: ﴿يَاأَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٦-٨]. ﴿يَاأَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ [الانشقاق:٦]. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦].

هكذا يخاطب الله الإنسان –حقيقة الإنسان– دون أن يربطه

بصفاته الطارئة كالوطنية والقومية مثلاً، بل يخاطب إنسانًا حرًّا طليقًا مخلوقًا لله، وهو عبد الله فقط ليرده إلى خالقه ومولاه، ويخبره بأنه سوف يرجع إليه ليرى عنده جزاء عمله وكده في هذه الدار، وفق عمله وكده، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر دون أن يظلم: ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]. فما عليه إلا أن يعمل الخير، ويبتعد عن الشر، بمثل هذا الأسلوب، وبمثل هذا التوجيه يربِّي الإسلام الإنسان في كيانه المهم الروح، وهو لا يهمل الجسم، ولكنه يركز على الروح كما رأينا، وكما سنرى تفاصيل ذلك إن شاء الله.

ومن درس المناهج الأخرى غير الإسلامية في مجال التربية يجدها فريقين: فريق يصل الناس بربِّهم وخالقهم متجردين عن الحياة، تاركين الأرض وعمارتها، بل يكادون أن يزعموا أنَّهم روح بلا جسم.

وفريق آخر يصل الناس بالأرض ليتمتعوا بالأرض وزينتها

ويكافحوا دونَها، ويعادوا من أجلها، ويوالوا فِي سبيلها من أجلها يحبون ويكرهون، وقد خلدوا إلَى الأرض وركنوا إليها حَتَّى أصبحوا عبادًا لَها.

وأما الإسلام، الإسلام وحده هو الذي يصل الإنسان بخالقه؛ ليصلح حاله فِي الأرض، وينظم حياته، ويَمشي على الأرض بجسمه وهو متوجه إلَى السماء بروحه؛ ليعيش بين الأرض والسماء، ولا يقطع صلته بأيتهما، يمشي على الأرض يكد ويسعى فِي رزقه وهو متصل بالسماء: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ [الملك:١٥]. وهذا الاتصال بالسماء بِهذه الصورة الَّتِي صورها القرآن هو محور العقيدة الإسلامية ومنهجها التربوي، ومن الاتصال بالله تتفرع التشريعات والتنظيمات والتوجيهات حَتَّى يمكن للحياة البشرية أن تسير على منهجها المستقيم، دون تفريط أو إفراط ليعلموا أن الله وحده صاحب الحول والقوة والعزة والجبروت والسلطان وهو مالك الكون: ﴿**بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [يس:٨٣].

وهذا العلم يحملهم على عدم التطلع إِلَى أحد سواه بل يتوكلون عليه وحده ويكتفون به: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]. ويغمضون عيون قلوبِهم بحيث لا يلتفتون إِلَى غيره، ومن ثَمَّ تتحرر قلوبُهم وأرواحهم، ليتطلعوا إِلَى الله، بل لينطلقوا إليه خفافًا يحدوهم الحب الصادق لخالقهم لينطلقوا لخالقهم وولي نعمتهم، وشوقهم إِلَى لقائه وهو أسمى أمانيهم، أجل، إن هذا الرد يجعلهم يدركون الأمور على حقيقتها، وأن منهج الله هو المنهج الصالح وحده، فيلتمسون الهدى فِي منهجه، ليهتدوا بِهديه ويسيروا على ضوئه فتصلح حالهم فِي الأرض، وتقوى بذلك صلتهم بالله وثقتهم به، بل يكسبون من هذا الاتصال قوة تفوق قوى الأرض كلها، لأَنَّهم يستمدون قوتَهم من قوة خالقهم، فهم من الله، وقوتُهم من قوة الله؛ إذ هي قوة تبني وتنشئ وتعمر وتصلح وهم خلائف فِي الأرض، يخلف بعضهم بعضًا ليعمروها ويصلحوها، ويقيموا فيها العدل، ويستغلوا خيراتِها وثروتَها: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا

فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣]. ولا يعرف العجز والكسل إلَى نفوسهم سبيلاً، بل يواصلون سيرهم بقوة دونها جميع القوى، وبثقة دونها كل الثقات.

هكذا يربِّي الله الإنسان حَتَّى يدرك أن منه المنشأ وإليه المصير: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾ [الطارق:٥-١٠].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم:٤٠].

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ [ق:٤٣].

فمنهج الإسلام فِي التربية فريد فِي بابه فِي إحاطته بجميع جوانب الإنسان، ولا غرابة في ذلك لأنه منهج الله الخالق ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]. ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم:٣٠].

وبعد هذه الإشارة وهذه النصوص الَّتِي سردناها نستطيع أن نقول بكل تأكيد: إنه لا يوجد نظام أو منهج يعالج الفطرة كما يعالج الإسلام إذ هو يعطي كل جانب فِي الإنسان غذاءه اللائق به والصالح له بنظام دقيق وبالقدر المفيد بحيث لا يشكو جوعًا أو يصاب بتخمة.

ومن ثَمَّ ينطلق الإنسان فِي الحياة نشيطًا متحركًا ومنتجًا على الدوام دون عجز أو كسل أو فتور، وجميع المناهج الأرضية تعجز عن الوصول إِلَى هذا المستوى، وتقف دون هذا الشمول فِي دقته كما يشهد واقع الحياة بذلك، ولا أريد بحديثِي هذا إجراء مقارنة بين المنهج الإسلامي المنْزل وبين المناهج الأرضية الوضعية، بل لا أبيح لنفسي مثل هذه المقارنة، وإنَّما أريد بيان وشرح المنهج الإسلامي، وأنه هو وحده الصالح للتربية المنشودة، وهو الكفيل وحده لتكوين الجيل الصالح وتنشئته، الجيل الذي يعمر الأرض ويقيم العدل ويؤمن بالله ويعمل لصالح عباد الله دائمًا حيث ما

حل وأينما نزل.

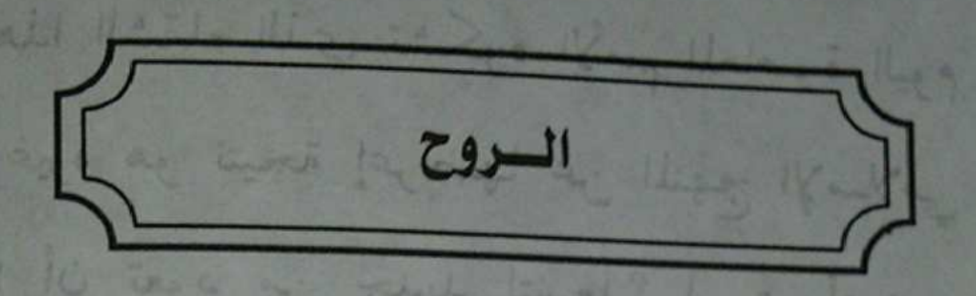
بل أقول بكل تأكيد: إن المناهج كلها -غير المنهج الإسلامي- تعجز أن تخرج هذا الصنف من الناس أجل إن المنهج الإسلامي لو درس وفهم ثُمَّ طبق لأغنانا -نحن المسلمين- من استيراد مناهج من خارج بلادنا ومن وضع أعدائنا وأعداء عقيدتنا -مشرقين أو مغربين- لنربِّي عليها أبناءنا وفتياتنا، والذي حملنا على ما نحن عليه اليوم من التماس الهدى والصلاح والخير فِي غير المنهج الإسلامي هو عدم دراستنا للإسلام ومنهجه التربوي دراسة فاحصة وواعية كما يجب أن يدرس ويفهم.

بل لا أقف عند قولِي: لأغنانا -نحن المسلمين- فحسب بل أقول: لأغنى الناس جميعًا وكفاهم لأنه منهج ربانِي صالح لجميع الناس أنزله رب العالمين رحمة للعالمين لهداية البشرية أجمع عرفه من عرفه وأخذ به، وجهله من جهله وأعرض عنه وشقي لعدم الأخذ

وهذا الشقاء الذي تشكوه الأمم المعاصرة اليوم فِي مجال التربية وغيره هو نتيجة إعراضها عن المنهج الإسلامي التربوي، فهل لَها أن تعود من جديد لتسعد؟ لست أدري عن مدى استعدادها للعودة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت:٤٦].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊





الـروح

قبل أن أقول شيئًا عن طريقة الإسلام فِي تربية الروح يحسن بِي أن أقول شيئًا عن الروح ذاتِها، الروح هي تلك الطاقة الهائلة فِي كيان الإنسان والركن المهم فيه والعنصر الأساسي فِي تكوينه وهي الَّتِي يتم بطريقها اتصال الإنسان بربه وخالقه؛ لأنَّها من روح الله الَّتِي أودعها قبضة من طين فصار إنسانًا: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص:٧٢]. وهي تَهدي إِلَى خالقها وتتصل به سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف:١٧٢].

هكذا يبقى الإنسان على اتصال بربه بواسطة روحه ما لَم تنحرف فطرته ويفقد الإنسان اعتداله بأن يصاب بمرض الشبهات المضلة أو يغشاه ركام من الشهوات فيحجب عنه النور فيتخبط

وعلى الرغم من ذلك فإن الفطرة لا تعمى كل العمى حَتَّى فِي هذه الحالة، بل لا تزال تحاول أن تتجه إِلَى خالقها.

مثلها فِي هذه الحالة مثل العين الكليلة تحاول الاتجاه إِلَى الضوء وهي لا تراه كله رؤية كاملة ولكن لديها بصيص من النور، ففي هذه الحالة يصاب الإنسان بتخبط فِي سيره إِلَى الله وعبادته، فتجده يعبد مع الله غيره من الكائنات بالتقرب لَها والتزلف: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣]. مع الاعتراف التام بأن هذه الكائنات لن تشارك الله فِي الخلق: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر:٣٨]. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ﴾ [الأحقاف:٤].

هنا تظهر جليًا مهمة العقيدة ودورها الهام ومهمتها مساندة الفطرة وتوجيهها وجهتها السليمة أجل مهمة العقيدة أن تساعد الفطرة فِي الاهتداء إِلَى الله وإخلاص العبادة له وحده ذلك الاهتداء الذي كان كامنًا فيها، وتلك القابلية الَّتِي كانت تنتظر

التوجيه، فتأتِي العقيدة فتوجه وتَهدي إلَى طريق مستقيم وصراط قويم صراط الله الذي له ما فِي السموات وما فِي الأرض، هكذا تظهر جليًّا مهمة العقيدة وفائدة إرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية وعدم الاكتفاء بالفطرة وحدها بالأدلة الكونية الَّتِي نصبها الله فِي الآفاق وفِي الأنفس لتدل على خالقها.

إذن مهمة العقيدة أن تطلق الروح، وتخرجها من حجابِها لكي ترى الله وتتصل به مباشرة وبدون واسطة، لذا نرى الإسلام يعنِي بالروح عناية خاصة لأنَّها فِي نظر الإسلام هي القاعدة الَّتِي يستند إليها الكيان كله، ويتم الترابط عن طريقها وهي الموجهة إلَى الله، ومعلوم أن للإنسان طاقات عديدة طاقة الجسم، وهي لا تتجاوز كيانه المادي وما يدرك بالحواس وهي طاقة محدودة كما ترى.

أما طاقة العقل فهي أكثر انطلاقة طبعًا، إلا أنَّها محدودة أيضًا بِما يعقل وبالزمان والمكان والبدء والنهاية.

فالطاقة الوحيدة فِي كيان الإنسان المعفوة عن الحدود والقيود هي طاقة الروح وحدها؛ إذ هي الَّتِي تملك الاتصال بِما لا يدركه الحس والعقل وهي الَّتِي تتمتع وحدها بالاتصال بالخلود الأبدي والوجود الأزلي؛ لأَنَّها تملك الاتصال بالله ومعرفته بآلائه ونعمائه، وإن كنا نجهل كنه الروح وكنه الاتصال بالله، وما أكثر ما نجهل كنهه وحقيقته، ونحن نؤمن به وبوجوده، ولكن الإنسان يكاد يحس بسبحة الروح الطليقة عندما تجوب آفاق الكون وتتصل بكل حي فِي هذا الكون، لِهذا اهتم الإسلام بأمر الروح فِي جملة اهتمامه بالطاقات البشرية كلها، وأعطاها حقها من الرعاية والتوجيه، وركز على الروح وهي من أمر الله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء:٨٥].

وفيما يلي نرى كيف ربَّى الإسلام الروح وما هي الطريقة الَّتِي سلكها فِي تربيتها.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

طريقة الإسلام في تربية الروح

للإسلام طريقته الخاصة فِي تربية الروح وهو يعقد الصلة الدائمة بينها وبين الله صلة لا تنقطع فِي كل لحظة فِي كل عمل وكل فكر وكل شعور حتَّى لا تنطفئ تلك الإشراقة الروحية لتكون تلك الصلة القوية منهج حياة الإنسان تضيء له الحياة لتظل دائمة مضيئة لكيلا تكون الانطلاقة فلتة عابرة. إذن منهج الإسلام فِي تربية الروح أن تكون صلة الروح بالله فِي كل لحظة ودقيقة -كما سبق أن قلنا- بحيث يراقب الله وهو فِي خلوته حيث لا يراه أحد سواه وهو بين أصحابه وهو يقرأ وهو يكتب ولا يكتب ما لا يرضاه الله وما يضر عباده وأولياءه وهو فِي مصنعه فِي متجره فِي مزرعته فِي حبه فِي رضائه وسخطه فِي جميع أحواله وظروفه بل لا تقوى الظروف الطارئة والأحوال المتجددة أن تحول بينه وبين الله ومراقبته بل هو فِي جميع حالاته مع الله وعلى اتصال وثيق

دائم، بل هذه هي العبادة الَّتِي من أجلها خلق الله الجن والإنس: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]. وليست العبادة المذكورة فِي الآية والَّتِي خلقنا من أجلها أداء بعض الشعائر الدينية فِي أوقات محدودة فحسب -كما يظن البعض- كالصلاة والزكاة والصيام مثلاً بل هذه مفاتيح وأسس لعبادات أخرى كثيرة أو هي المحطات الكبرى -كما يقول بعض المفكرين الإسلاميين- شريطة أن يحسن الوقوف فيها وأداءها كما يجب.

أما حقيقة العبادة أو ثمرتُها على الأصح فهي تلك الصلة الدائمة بالله فِي جميع الأحوال وتحت أي الظروف دون انقطاع أو فتور، ويخطئ الذين يحسبون أن حقيقة العبادة فِي الإسلام ذلك التنسك والتزهد فترة من الزمن، وأن يظهر الخشوع والخضوع فِي السجود وفِي الركوع فإذا ما ختم صلاته وخرج من مصلاه فإذا العدوان على عباد الله وهتك أعراضهم!! فإذا الجشع والشح والغش والخيانة فإذا هذه الأخلاق قد أخذت منه كل مأخذ، فلا يأمنه المشتري فِي بيعه، بل لا يأمن جاره بوائقه: «والله لا يؤمن،

والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قالوا: من يا رسول الله؟ قال: **الذي لا يأمن جاره بوائقه»**[1]. أي: شره وضرره: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

وليس الغرض من العبادة هذه الشكليات الجوفاء: **«إن الله لا ينظر إِلَى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إِلَى قلوبكم وأعمالكم»**[2]. فالقلب هو محل نظر الرب فِي العبد لا الصور والمظاهر والشكليات الَّتِي لا قيمة لَها عند الله إذا انفردت.

والعبادة المثمرة هذا أهم الوسائل فِي تربية الروح وعقد الصلة بين الإنسان وربه، وهناك وسائل أخرى يستعملها الإسلام فِي هذا المجال، وسوف نذكر بعضها -إن شاء الله- فيما يأتِي من باب المثال لا الحصر.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٦)، ومسلم (٤٦) من حديث أبِي هريرة ﷺ.
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبِي هريرة ﷺ.

الوسائل التي استعملها الإسلام في عقد الصلة بين الإنسان وربه

١- إن الإسلام ينبه القلب ويثيره لينظر فِي الكون وصفحته الواسعة ويحس بوجود الله المبدع وقدرته المطلقة الَّتِي ليس لَها حدود ويقول قرآن الإسلام عقب ذكر كل آية من الآيات الَّتِي فِي صفحات الكون يقول منبهًا مثيرًا: ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٨]. ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [الصافات:١٥٥]. إلَى آخر تلكم التنبيهات والتذكير فتتفق هذه الآيات الكونية مع الآيات المنْزلة المتلوة فِي إثبات وجود الله وقدرته القادرة القاهرة لقوم يعقلون ويدرسون ويفهمون فيعمق ذلك إيْمانَهم وتوثق صلته بربِّهم وخالقهم هذه واحدة.

٢- يثير انتباه القلب لئلا يغفل عن مراقبة الله الدائمة ليعلم أنه سبحانه وتعالى معه أينما كان، مطلع على قلبه، عالم بكل أموره السرية

والعلنية، بل وما دون السر كيلا يفارقه وجدان التقوى والخشية الدائمة ومراقبة الله فِي كل حال ومن ثَمَّ يتجدد عنده شعور الحب لله وتعظيمه، والتطلع إلَى رضائه على الدوام والشوق إلَى لقائه والأنس به دائمًا، والاطمئنان فِي السراء والضراء، ويتقبل قدره بالتسليم والرضا دون تضجر أو قلق ودون شكوى من الله إلَى خلقه ومحاولة الفرار منه إلَى غيره وإنَّما يفر منه وإليه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]. لأن الأمر كله منه وهو الذي له الخلق كله، وله الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، وبيده الخير كله، ومَنْ مَنَّ الله عليه بِهذه الحالة هو الذي يعيش الحياة السعيدة وقليل ما هم.

ويقول كاتب إسلامي معاصر فِي هذا المعنى وهو معروف لدى القراء المسلمين:

"وحين يعيش الإنسان فِي جو الإسلام والقرآن لا يملك نفسه من حب الله تعالى حَتَّى وهو يخشاه!. إنَّها عجيبة من عجائب العقيدة، فِي ظل العقيدة يتطلع القلب إلَى الله بحب دافق وشوق دائم للقياه.

ثُمَّ يقول الكاتب: إنه ليس عمل واحد ولا كلمة واحدة ولا شعور واحد ولا لمسة واحدة، وإنَّما هو عمل مزيج من الأعمال والأقوال والمشاعر واللمسات، كلها فِي النهاية تحدث هذا الحب المتدفق الفياض، الحياة الدائمة مع الله فِي صفحة الكون وباطن النفس التطلع الدائم إلَى الله فِي السموات والأرض فِي الظاهر والباطن فِي السر والجهر.

المراقبة الدائمة فِي كل أمر.

الصلاة والعبادة، قراءة القرآن.

ومئات من المشاعر الخفيفة واللمسات اللطيفة..

إلَى أن قال: فِي النهاية يتدفق فِي هذا الحب الواغل فِي الأعماق حب أعمق من أن يصفه اللفظ وألطف من أن يمسكه التعبير سارب فِي النفس مشع فِي الكون لا تمسكه الألفاظ".

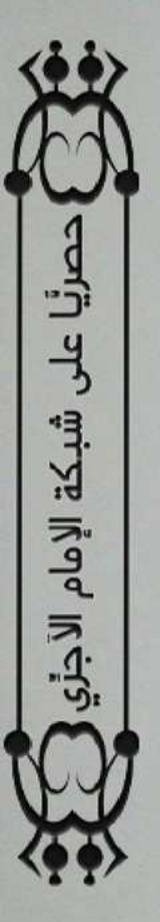
ثُمَّ يقول الكاتب وهو يعلل هذه الحياة النادرة الوجود اليوم: "ذلك لأنه يعيش وهو مسلم لله بأنه هو مالك الملك، وهو موزع

الأرزاق: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢].

فلا يلجأ إلا إلَى الله إذ ما قيمة اللجوء لغير الله وما نتيجته، إلا المذلة للناس والهوان والضعف والخسران المبين: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٣٩]. كذلك تصنع العقيدة فِي النفوس، إنَّها تولد فيها هذا الاطمئنان إلَى الله والتسليم لقدرة الله والرضاء بِما يرضاه". ا.هـ.

أعود فأقول: باستخدام هذه الوسائل الَّتِي ذكرناها أو ذكرنا بعضها على الأصح يعقد الإسلام الصلة بين الإنسان وبين خالقه وتولد هذه الصلاة ذلك الاطمئنان العظيم.

وبعد: هذا ما يحدث كنتيجة لتربية الروح على المنهج الإسلامي فإذا كنا قد أطلنا الحديث عن الروح وتربيتها فلابد لنا من كلام موجز على الأقل عن الجسم وطريقة تربيته.



طريقة الإسلام في تربية الجسم

إن الإسلام لَم يهمل -كما نوهنا سابقًا- الجانب الجسمي فِي الإنسان بل عامل الإنسان على أنه مادة وعقل وروح، وأولى عنايته كلاً من هذه العناصر وأعطى لكل عنصر احتياجه وضروراته فكفل للجسم كل متطلباته ولوازمه إلا أنه ركز -كما رأينا- على العنصر الذي يميز الإنسان عن سائر المخلوقات وهو الروح.

أما الجسم فقد هيأ له جميع وسائل الراحة الجسمية، أحل له الطيبات وحرم عليه الخبائث الضارة للجسم، وحياته عاجلاً أو آجلاً، يسر له الطعام والشراب والمسكن والمتعة المباحة، ورفع عنه الحرج فِي التشريع، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨] «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩) من حديث أنس ﷺ، ومسلم (١٧٣٢) من حديث أبِي موسى الأشعري ﷺ.

وشرع له التداوي من الأمراض لئلا تفتك به: «**عباد الله تداووا إن الله ما أنزل داء إلا أنزل له دواء**»[١]. هذه هي بعض الأمثلة السريعة لعناية الإسلام بجسم الإنسان، وأنه لَم يهمله على حساب الروح وإن ركز عليه كما رأينا، إذ الجسم السليم فِي العقل السليم كما يقولون.

عندما نتحدث عن المنهج الإسلامي فِي مجال التربية وغيره من المجالات لا نعنِي أن يعرف الناس هذا المنهج بمعرفة خصائصه ووسائله ومحاسنه معرفة ذهنية نظرية فحسب، وإنَّما نعنِي أن نعيش مع هذا المنهج ونَجنِي ثماره ليسعد به الإنسان المعاصر كما سعد به من قبل من سبقنا فِي صدر هذا الإسلام وعصوره الذهبية أولئك الذين عرفوه حق المعرفة؛ لأنَّهم عرفوه بعد أن جربوا غيره من المناهج الجاهلية وعرفوا عيوبَها ثُمَّ انتقلوا إلَى الإسلام عن

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨)، وابن ماجه (٣٤٣٦) من حديث أسامة بن شريك ﷺ. وصححه الألبانِي فِي صحيح الجامع (٢٩٣٠).

إيمان وفهم فأحبوه، بل تفانوا فِي حبه وحب من أنزله، وحب من جاء به وهو رسول الهدى ومربِّي البشرية -عليه الصلاة والسلام-.

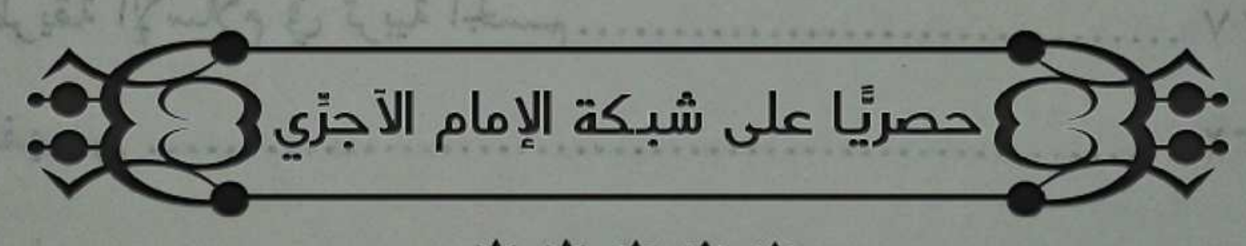
وتمسكوا بالإسلام تمسك من ألقي فِي اليم بيد من أخذ بيده لينقذه من الغرق وليكون سببًا فِي حياته، كيف يكون تمسكه به، كذلك كان تمسكهم بالإسلام وفِي هذا المعنى يقول عمر بن الخطاب ﷺ وعمر من تعرفونه ذلك الرجل والصحابِي المحدث وعمر هو دون حاجة إِلَى تعريف، يقول عمر ﷺ: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة إذا نشأ في الإسلام من لَمْ يعرف الجاهلية».

ما أصدق هذا الكلام وقد فسره واقع جمهور المسلمين اليوم، ما أكثر الجاهليات الَّتِي يتمسك بِها كثير من المسلمين اليوم على أنّها من الإسلام وليست فِي شيء، ومن ذلك مناهج التعليم والتربية فِي كثير من البلدان الإسلامية والَّتِي يتخرج عليها أبناؤنا وفتياتنا تلك المناهج الَّتِي تسمح للطالب والطالبة أن ينال الشهادة العالية بل الشهادات العليا فِي الدراسة الإسلامية وهو لا يعرف

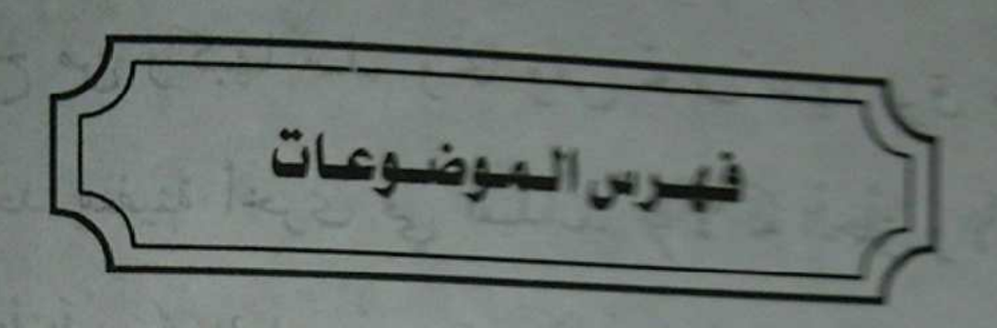
من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه و كتابته و بجانب ذلك لا يجيد لغة القرآن -اللغة العربية- وهي بحق لغة الإسلام -إذ لا يمكن فهم كتاب الإسلام إلا عن طريقها، بل لا يمكن الفهم عن رسول الإسلام وما جاء به من عند الله إلا بِهذه اللغة، والمناهج الَّتِي تحول بين أبناء المسلمين دون هذا الغرض هي مناهج ضارة وداعية إِلَى الجهل بالإسلام، فهذا كمثال فقط لتصديق عمر ﵁ ولو تتبعنا أمثلة تفسر لنا هذا الكلام العظيم للرجل العظيم -عمر- لطال بنا الحديث، فلنعد إِلَى الموضوع.

أيها الإخوة الكرام: إذا كنا لا نشك بأن الله هو خالق النفس البشرية وهو خالق الحياة فلا شك أن خالق النفس وخالق الحياة هو أعلم وأخبر بالنفس وطبيعتها ومتطلباتِها وبالحياة وظروفها فِي تطورها فإذا هو أولى وأجدر بتنظيم الحياة وتربية النفس بل هو الذي له الحق وحده فِي وضع منهج الحياة التربوي وغيره، المنهج الذي يضمن للبشرية السعادة فِي الأولى والأخرى الذي يعتبر بحق

سفينة نوح من ركبها سلم ونجا ومن تخلف عنها غرق ولا شك إذ لا توجد سفينة أخرى في الميدان: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]. ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]. فلنرجع إلى المصحف ولنشرحه بالسنة فهناك المنهج الصحيح وهناك التربية السليمة وهناك الحياة السعيدة والله المستعان وصل اللهم وسلم وبارك على من أرسلته رحمة للعالمين نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه.



❊ ❊ ❊ ❊ ❊


فهرس الموضوعات


I.P.C
المركز الدولي
012/7930415
012/4179887

تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة

محمد أمان بن علي الجامي

العقيدة الإسلامية وتاريخها

محمد أمان بن علي الجامي

الحكم على الشيء فرع عن تصوره

محمد أمان بن علي الجامي

